مخطوطات ومطبوعات

تلخيص وتصحيح

رحلة الوزير في افتكاك الأسير
تأليف
الوزير محمد بن عبد الوهاب الغساني

[٢٨٣ صفحة بقسميه العربي والإسباني والفهارس]
مطابع الفنون المصورة ، بوسكا ١٩٦٠ العرائش (المغرب)

السلطان المظفر مولاي إسماعيل من أعاظم سلاطين المغرب واكثرهم حزما وعقلاً ودهاء وضرباً في الأرض في سبيل التوسع . بويع سنة ١٠٨٢ ﻫ (١٦٧٢ م) «فنهض بأعباء الملك وضبط الأمور بشدة وحزم فتمهدت له البلاد ودان له قريبها وبعيدها وأخمد ثورة مراكش وثورة فارس . فلما دانت له البلاد المغربية من أقصاها الى اقصاها بعد معارك وحروب طويلة واستتب الأمن في الداخل وأجبر الانكليز على الانسحاب من طنجة سنة ١٦٨٤ م واسترجع العرائش من الإسبان سنة ١٦٨٩ وضرب الحصار على سبتة ، فكر في الفتوحات الخارجية : فاستولى على تخوم السودان وبلغ فيها الى ما وراء النيل ، فانتشرت دولته وامتدت مملكته من جهة الشرق الى قرب بلاد بسكرة ونواحي تلمسان .

فهابته دول أوروبا وتسابق ملوكها وسلاطينها الى خطب وده والتقرب اليه ، فبادلهم الولاء وابرام معاهدات الصداقة وإرسال السفراء .

وكان أقربهم اليه الدولة الاسبانية فبعث الى ملكها كارلوس الثاني وزيره «محمد بن عبد الوهاب الغساني»[1] سفيراً في أمرين هامين : تخليص الأسرى المسلمين

---

(١) ص 9

لدى الاسبان وجلب ما بقي في الأندلس من الكتب العربية في مختلف المكاتب الخاصة والآثار الاسلامية ، فقام الوزير بهذه الرحلة سنة ١١٠٢ هـ الموافقة سنة (١٦٩٠ – ١٦٩١ م) واستغرقت ثمانية أشهر من المحرم الى رمضان المبارك ، عاين خلالها الجليل والدقيق من أمر اسبانيا وشعبها وعاداتهم وأديانهم وأزيائهم وخيراتهم ووصف كل ذلك وصفاً شائقاً جذاباً ولم يترك أن ينعت لنا الحالة السياسية والدولية لعصره ، وهذا هو موضوع الكتاب الذي نحن بصدده .

يشعر قارئ الرحلة بلذة فائقة ، اذ استطاع الوزير الغساني ان يجعلنا على كثب مما شاهد بصدق لهجة وأمانة وسذاجة فذكر الوزير المؤلف ما عاين « من مرافق الحياة والعمران والحضارة في البلاد الإسبانية وما لاحظه من عادات ذلك الشعب ومدنيته ، وما سمعه واختبره في تلك البلاد من تطور سياسة الأمم وتحوير أنظمة الدول ، وما لقيه من الإكرام والاحترام وحسن الضيافة ، وما عمله لتوطيد الصلات وتبادل المصالح المشتركة وتأمين حسن الجوار بين إسبانيا والمغرب وابرام المعاهدات بين ملوك الدولتين العظيمتين ، فقد أتحفنا الوزير بملاحظات دقيقة واستنتاجات قيمة ورسم لنا صورة مصغرة طبيعية عن اسبانيا في عهد كارلوس الثاني ربما كانت من اقرب الرسوم الى الحقيقة وأفضل ما كتب عن اسبانيا في ذلك الزمن .

وقد بين المؤلف من ناحية أخرى ما كان للمغرب من عظمة ومجد وسؤدد . وما كان لسلاطينه العظماء من جلال الملك والأبهة والشهرة الواسعة ، وما كان عليه مولاي اسماعيل من دهاء وحزم وعظمة وبطش وقوة وسعة ملك ، وما كان له من فضل عميم وسعي مشكور في افتكاك ما بقي من اسارى المسلمين بإسبانيا ، وجلب كل الوسائل الفعالة التي تؤدي الى ما فيه عظمة الإمبراطورية المغربية وخيرها »[1]

وقد يعجب القارئ من دقة ملاحظته حين يسجل من التفاصيل كل ما هو

(١) ص 3

ذومغزى فقد عرفنا منه ان الاسبان على عهده كان لهم سوق عامة في فسيح من الأرض يقوم موسمها خمسة عشر يوماً في السنة (ص ٣٥) على مثل ما كان عليه العرب في جاهليتهم وصدر اسلامهم ، وأن من (الاكليريكيين) من يخصي لتحسين الصوت وترقيقه (ص ٣٦) ، وأن القوم كانوا يرتعون في بحبوحة من غنى مستفيض عقب استيلائهم على أمريكا فترفعوا عن التجارة والتغرب والمهن وصار اكثر من يقوم بذلك عندهم نزلاء فرنسيين لأن بلادهم كانت ضيقة المعاش (ص ٤٤)، ونرى (ص ٤٦ — ٥٦) معلومات طريفة عن أولية البيت المالك في اسبانيا ، ولم ينس أن يفيدنا عن سبب بناء الإسكوريال (ص ٤٨) ، ولا أن يصف لنا نظام تولية البابا ص ٦٧ ولا تصوير الانزلاق على الجليد تصويراً لاذاً (ص ٥٩) ، كما لم ينس نعت مقابلته لملك اسبانيا ووصفه ونعت قصره وحاشيته وطراز حياته ولا الساحة العامة في مدريد ولا مصارعة الثيران ، ولا المشافي (البيمارستانات) وعنايتهم بالمرضى الخ . ثم لم يهمل ان يطلعنا على اهتمام القوم بالأخبار الخارجية فقد عرف من منشوراتهم [جرائدهم] (ص ٧٩) أخبار السلطان سليمان القانوني وحربه مع امبراطور المانيا وازماعه حصار ويانه . كما عرفنا كثيراً عن التاريخ الدولي إذ ذاك وأيقنا بأن الوزير المؤلف خبير بعلاقات الدول دارس لتاريخهم درساً جيداً ، عليم بشؤون عصره وتفاصيل الحوادث ، فهو رجل دولة .

ويكاد ما ذكره ص ٨٣ — ٨٥ عن عاداتهم في الميراث وحوادثهم فيه ودقائق اموره سواء كان الموروث لقباً او مالاً أو عقاراً .. يكون نظاماً كاملاً في الإرث .

ومما يدل على فطنته وبعد نظره انه تكهن بوراثة امير فرنسي لعرش اسبانيا قبل حرب الوراثة الاسبانية وترشيح فيليب آنجو للعرش (ص ٨٥) وكان دقيقاً جداً حين علل شروع الاسبان بتعلم الفرنسية الى آخر ما في الرحلة من فوائد .

وذيل كتابه بفصل ممتع عن دخول العرب للأندلس وأحداثها الأولى

وعرفنا أنه دخلها رجل واحد فقط من أصاغر الصحابة مع موسى بن نصير اسمه المنيذر الافريقي وساق حديثاً عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ٠

ومما يبعث على الاعجاب العظيم في هذا الفصل ويثير في العربي بل في كل إنسان أنبل الشعور وأسمى العواطف ماذكره ص ١١٥ من عادة خلفاء بني أمية بدمشق من أنهم « اذا وردت عليهم الجبايات استقدموا مع جباية كل موضع عشرة رجال من وجوه رجاله وخيارهم فلا يدخل بيت المال من الجباية لا دينار ولا درهم حتى يحلف الوفد بالله الذي لا اله الا هو : ما فيها دينار ولا درهم أخذ الا بحقه ، وأنه فضل أعطيات أهل البلد من العيال والذرية !! »

الحق ان الحضارة تحتاج الى قرون كثيرة حتى تسمو الى فهم الاسلام والمسلمين

* * *

وبعد فهل علي من حرج اذا أنا أثنيت على المؤسسة التي تعنى باخراج مثل هذه الكتب ونبشها من قبورها فتضيف الى تاريخنا صفحات مجيدة ، واذا خصصت بشكري الأستاذ ألفريد البستاني الذي توفر — على قدر طاقته — على نشره كتابنا بهذه الحلة ٠ وأرى من تمام شكري لهذا السيد أن الفته الى أمور لايهملها في أصول نشر المخطوطات منها:

١ — اننا لم نعرف قيمة المخطوطات الثلاث التي اعتمد عليها ، ولا تاريخ كتابتها ومن الواجب أن ينشر صورة فتوغرافية لأول صفحة وآخر صفحة منها

٢ — الكتاب يكاد يكون حديثاً واحداً غير مميز الأجزاء ، ومن أول واجب الناشر أن يبوبه ليستريح القراء عند أول كل موضوع جديد ٠ والكتاب ١٢٠ صفحة لم يذكر الناشر الواجب عليه الا في نحو خمس صفحات ٠

٣ — نعيد هنا مالاحظنا عليه في كتاب آخر وهو ان الفهارس قليلة الغناء لأنها لا تخضع لترتيب ما فلا هي مرتبة على الحروف العربية ولا الاسبانية ولا على ترتيب القدم في الزمن ٠ ونزيد هنا ان اهم الفهارس التي على المؤلف إثباتها ولا يستغنى عنه قط وهو فهرست الموضوعات ، قد أهمله الناشر اهمالاً تاماً وصار الذي

يريد ان يرجع الى حادثة في الكتاب مضطر الى اعادة قراءته من أوله حتى يظفر بضالته وهذا عيب في النشر كبير .

٤ — هناك بعض جمل غامضة أو محرفة لم يجتهد الناشر في معرفة صوابها ولم يشر الى استشكاله اياها : كقوله : ص ١ « وتصرفه الكاية ... بالبيض المحامي » وتقديره ما أنفق على منبر جامع قرطبة بـ (٥٣٥) دينار فإن الصواب فيه ماذكر في حاشيته ص ٢٢ وهو (١٥٣٥) دينار وللناشر ان يستصوب ، وقوله ص ٢٧ « والمتجالات » لم نفهم المقصود منها فاما أن تكون محرفة واما ان يكون لها معنى محلي على الناشر ان يوضحه . ونرجح ان هناك خرماً بعد السطر الثامن عشر ص ٩٥ لأن الجملة ناقصة . وقوله ص ٩١ الرجل الى مدجرة الماء متبعوه ، وص ٩٨ (قنانيط وحجاب كيبار ؟) مما لم نفهمه

٥ — ملاحظة الناشر ص 3 أن المؤلف خلط بين طارق بن زياد وطريف بن مالك غير صحيحة ابداً وكل مافي الأمر ان الناسخ أخطأ فكتب طارقاً وهو يريد طريفاً وذلك في صفحتي ٥ و٧ بدليل ان الكلمة في مخطوطة بني بوزين (رقم ٢) جاءت صواباً (انظر ص ٥) . فعلى من يقدم على تخطئة المؤلفين ان يتثبت ويتروى طويلاً .

٦ — وجدت في الكتاب هذه الجمل الملحونة : « ص ٢٤ يزعمونه النصارى ، ص ٢٥ يتولونها بقايا ص ٢٧ يحطن به اربعة عجائز ، ٢٩ طلبوا أهل ص ٨٦ لا يقدرون أهل الصليب ، ٩٦ ما يلقونه عليهم معلومهم ، فلم يفهموه جميع النصارى ، ٩٩ العشر كلمات ، يسمع لهم (أي النواقيس) صوت ، ١٠٠ خمس طواغي ، مسجد طليطلة وقرطبة وإشبيلية الشهيري الذكر ، ١٠٦ كل ناقوس منها ست وثلاثين شبراً » وظاهر أن جمع الضمير في الجمل الثلاث الأولى لغة ضعيفة وكذلك في (ص ٦٢ ويأتون بهم ويدخل اليهم (يقصد الثيران) و ٦٤ و٦٦ الخ

وان الصواب في الرابعة : العشر الكلمات ، وان ضمير الذكور العقلاء في الخامسة

خطأ وكذلك الصواب في الشهيري : الشهيرة أو المشهورة لأنهـا صفة مالا يعقل ، والصواب أيضاً ان يقول : خمسة طواغي ، وستة وثلاثون شبراً . هن غلطات ست يستطيع الانسان أن يحملها المؤلف كما يستطيع ان يجعل اكثرهـا من تحريف الناسخين وهو ما أجزم به ، وكيفما كان فليس من السائغ أصلاً ان يقول الناشر : « أما الرحلة فانشاؤها مضطرب وتعابيرها ركيكة تظهر عامية أحياناً »[١] والصحيح أن لغة الرحلة سلسة صحيحة لا عامية فيها ولا ركاكة ، بل الإنشاء قوي متين كما احس به المستشرق الفرنسي الجبائة هنري بيرس[٢] على أعجميته . وجودة الوصف والإنشاء في الرحلة مما لا ينبغي — كان — أن يخفى على احد .

٧ — حذف الناشر ثلاث صفحات من الرحلة وصف فيهـا المؤلف « بصورة مشوهة ارتداد (شاوول) بولس الرسول وتكلم عن اعمال الرسل الإنجيليين ، وتعرض الى سر تجسد المسيح والى سلطة البابا الروحية وما يسنه من الشرائع والاحكام ، وذكر بعض مناظراته مع الرهبان في مدريد وتكلم عن طريقة الرهبان والكهنة في استعمالهم سر الاعتراف وأورد بعض أخبار ملفقة لا فائدة من ذكرها »[٣] واكاد أقول ان هذا الحذف جريمة شنعاء في قانون النشر وتساهل في الأمانة العلمية . هذا وليس على الناشر من اداء الامانة حرج في دينه ، فان أبت عاطفته الا التنفيس فان الاصول المتبعة تبيح له التعليق والرد بعد اثبات النص بحذافيره . وعلى كل فان هذه الرحلة بتراء بسبب فعلة الناشر فقد حرمنا الاستمتاع برأي مشاهد مخالف . وغريب جداً ان يقول مع ذلك ص 2 : « فقد توخينا الامانة والصدق في النشر والترجمة محافظة على قيمة اصول المخطوط التاريخية » والعلم لا يجد في عمله هذا امانة ولا محافظةً على قيمة الاصول التاريخية

٨ — على الناشر ان يتجنب ما امكن الجمل المهلهلة التي لاطائل تحتها من مثل

(١) ص 2 (٢) ص 6 (٣) ص ٩٦

قوله ص 7 : «وبينما نحن في معترك البحث وميدان الدرس فوق مـائدة التشريح في المختبر العقلي نحلل مقاييس ومقادير عقدة هذه القضية الخ»

وأن يعتني بدرس قواعد لغته العربية فإن العمل الذي يمارسه يتطلب ذلك كما سترى .

٩ — قيمة الرحلة ونفاستها وجلال الموضوعات التي عالجتها ، كل ذلك يوجب علينا ان نثبت الاغلاط التي انتبهنا اليها وهي كثيرة جداً وغالبها من البدائه التي لا يجوز جهلها ابداً واني لأرجو ثانية [بكل حرارة] من السيد البستاني ان يتقن لغته ويدرس قواعدها ويعرض أعماله على من هو أخبر منه فيها فإن هذه الجريدة من الأغلاط في [١٢٠] صفحة إحدى الكبر في هذا العصر :

ص	الخطأ	الصواب
5	واستلاء الفرنسيون:	واستيلاء الفرنسيين
	التي وضعناه	التي وضعناها
٢	هاتك	هاتيك
٣	مبدئ	مبدأ
	دُعي	دعا
١١٥ —	فغزى	فغزا
٤	فاطمئن	فاطمأن
٥	وقع هذا	ومع هذا
٦	للاقتنا	للاقاتنا
	ثلاث مراكب	ثلاثة مراكب
٧	للاقات	للاقاة [٨،١٠،١١، ١٧،١٨،٣٦،١٣٩ الخ]
٩	دار	داراً

ص	الخطأ	الصواب
١٠	المقصودين	المقصودات اوالمقصودة
	الدار الذي	الدار التي
١١	الجوز	الجو
١٤	واعتقادتهم	واعتقاداتهم
١٥	فتشير	فتشير
١٨	وسبعة	وسبع
٢٠	كسى	كسا
	شمط	شحط
٢١	أيمحوا	أيمحو
	هام	رام
	المراعات والمحابات	المراعاة والمحاباة
	جدبت ضبغي	جذبت ضبعي
	زاد	زادي

ص	الخطأ	الصواب
٢٢	مصدفين	مصفدين
	العظيم أثر	عظيم أثر
	نزحت المشتاق	نزهة المشتاق
٢٣	القناطير	القناطر
٢٥	المندثر	المندثر
٢٧	اربعة عجائز	اربع عجائز
٢٨	ذي	ذوي
	ابنة عشرون	ابنة عشرين
٢٩=٨٤	الغير	غيرهم
٣٠	اناس ذو	أناس ذوو
٣١	ثلاثة مسافات	ثلاث مسافات
	في كذلك	كذلك
	ونساءهم	ونسائهم
٣٢	ليس	فليس
٣٣	آخراً	آخر
٣٦	منتقات	منتقاة
	يستحسنوها	يستحسنونها
	وله سنين	وله سنون
٣٧	ليمصرونه	ليمصروه
٤٠	يسكونونها	يسكنونها
٦٩=٨٦،٨٢	تزويجها	تزوجها

ص	الخطأ	الصواب
٤١	يتهيئ	يتهيأ
	كلت الاثني عشر	كمل الاثنا عشر
٤٢	ورجلاً	ورجالاً
٤٤	سينين	سنين
٥٢	للاختلاطهم	لاختلاطهم
٥٤	ألزاموا	ألزموا
	احسن ومن	احسن من
٥٥	ستة وعشرين سنة	ست وعشرين سنة
٥٦	علي م	علام
	اربعة عشر سنة	اربع عشرة سنة
٥٧	ذالك	ذلك
٥٩	الاخيريين	الاخريين
=١١٩	عصى	عصا
٦٠	بلادنا	في بلادنا
٦٣	حضرت عيد	حضرت عيداً
	ليراه الناس ويعرفونه	... ويعرفوه
٦٤	كنائساً	كنائس
	عجائزاً	
	آخراً	آخر
٦٧	ولم يتولى	ولم يتول
٦٩	ابنت	ابنة
٧٠	قال	فقال
	فأغلقها	فأغلقه

ص	الخطأ	الصواب
٧١	ابدلواه	ابدلوه
	مبلغه اثني عشر	مبلغ اثنى عشر (او مبلغه اثنا عشر)
	ونسامهم	ونسائهم
٧٢	والردا	والردى
٧٣	الشفتان	الشنآن
٧٤	بد حرب	من حرب
٧٥	تدعوني	تدعونني
٧٦	مزعمين	مزمعين
٧٨	ستمائة داراً	ستمائة دار
	فجهوا	فوجهوا
٨١	أخلا	أخلى
٨٣	ولداً ذكر	ولداً ذكراً
	يرثه	يرثها
٨٤	يتوعدون	يتواعدون
٨٥	مبالات	مبالاة
٨٧	الكنانسي	الكنسي
٨٨	ممزجاً	ممزوجاً
٩٠	معد	معداً
	بدعوا	يدعو
	تناوله	متناولته
	السنة	في السنة
٩١	تغسل له	تغسل لي

ص	الخطأ	الصواب
٩٣	بالسان	باللسان
٩٤	تجد	تجسد
٩٥	ثلاث ابواب	ثلاثة أبواب
٩٧	الستة واربعين	الستة والأربعين
	زينته	زنته
	اربعة عشر مدرسة	اربع عشرة مدرسة
٩٨	تسمع اصوات	تسمع اصواتاً
١٠٠	يمت	يموت
	إذا	إذ
١٠١	داره الذي	داره التي
١٠٣	نرجوا	نرجو
	نقضوه	نقضيه
١٠٤	في بناءه	في بنائه
١٠٦	ثلاثة ارباع الدراع	ثلاثة ارباع الذراع
١٠٨	بالحباء	بالحيات
١١٠	بأكثره من	بأكثر من
١١٥	قريثت	قرئت
	المعنى ؟	
١١٦	خباسة ؟	
	وصاروا	وصدروا
١١٧	التابعان	التابعيان
١١٨	لسبليه	لسبيله
١١٩	الشي	السبي

هذا وقد احسن الناشر بترجمته ترجمة موجزة الأعلام الواردة في مقدمته وفي الكتاب باللغتين العربية والاسبانية • وآسف لجهلي الاسبانية وحرمان القراء من إطلاعهم على قيمة الترجمة ودقتها •

وأتمنى في الختام لهذه المؤسسة اطراد التوفيق وللناشر الفاضل زيادة الاطلاع على مبادئ لغته وترقيه في خدمتها ، وإذاً نهنئه بدقة الاخراج كما هنأناه هنا بالإخراج ، ولا ننكر ان مهمته شاقة ولكن همته الصادقة كفيلة بالتغلب على الصعاب فله منا — إذا قبل الشكر — والتحية والتقدير

سعيد الافغاني

الموافقة بين اهل البيت والصحابة

هذا سفر جميل لمؤلفه الحافظ ابي سعيد اسماعيل بن علي بن زنجويه الرازي السمان المتوفى سنة ٤٤٥ هـ اختصره العلامة جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ وحذف منه الاسانيد والمكررات • ذكر الذهبي في ميزان الاعتدال ابن زنجويه بقوله انه صدوق لكنه معتزلي جلد • وذكره ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان واشار الى من اخذ العلم عنهم وقال ان له تصانيف وحفظاً وأشعاراً ورحلة كبيرة ومشايخ يجاوزون ثلاثة آلاف • ونقل عنه ابو الحسين المطهر ابن محمد بن علي العلوي بالري قال : سمعت أبا سعيد السمان إمام المعتزلة يقول : «من لم يكتب الحديث لم يتغرغر بحلاوة الاسلام» وقال فيه إنه كان من الحفاظ الكبار ، وكان فيه زهد وورع ولم يتأهل ، وله تفسير في عشر مجلدات وسفينة النجاة في الإمامة وغير ذلك •

ذكر صاحب الموافقة كيف أحب الصحابة بعضهم بعضاً ، وما قال بعضهم في

وصف بعض ، وخصوصاً الخلفاء الراشدين ، ورأينا فيه أن علياً يُعلي مقام أبي بكر وعمر ، وأن أبا بكر وعمر يعرفان لعلي مقامه ، ومشاهده وفضله وقرابته ، ويعليان أبداً قدره . وفي هذا الكتاب مقتل عمر بن الخطاب ومحضر الشورى وما قيل فيها ووصف بكاء الامة يوم وفاة ابي بكر وموت عثمان ، وفيه خطب بليغة وكلمات بارعة نقل بعضها رجال التاريخ والادب ، وبعضها مما رواه الباقلاني في اعجاز القرآن مثل خطبة علي في تأبين أبي بكر . وفيه حوار طويل وخطب لعلي عن سويد بن غفلة ، وهو ممن صحب أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً من التابعين ، في الرد على من تنقصوا أبا بكر وعمر ، وقول علي في الشيخين انهما أخوا رسول الله ووزيراه قائلاً : ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش وأبوي المسلمين بما أنا عنه متنزه ومما يقولون بريء ، وعلى ما يقولون معاقب ، فو الذي خلق الحبة وبرأ النسمة ، لا يحبهما الا مؤمن تقي ، ولا يبغضهما الا فاجر ردي ، صحبا رسول الله بالصدق والوفاء ، يأمران وينهيان ، ويعاقبان فما يجاوزان فيما يقضيان ، الى أن قال : ان أبا بكر سار سيرة رسول الله حتى قبض ثم ولي الأمر من بعده عمر بن الخطاب ، واستأمر في ذلك الناس فمنهم من رضي ومنهم من كره ، وكنت ممن رضي ، فوالله ما فارق عمر الدنيا حتى رضي من كان له كارهاً ، فأقام الأمر على منهاج النبي وصاحبيه يتبع آثارهما كما يتبع الفصيل اثر امه .

أما أخبار الفتنة فتنة عثمان ففيها اشارات مهمة لبراءة علي كرم الله وجهه من الانغماس فيها على ما حقق المؤرخون . ومنها عن ابن ربيعة سمعت علياً يقول : والله لئن شاءت بنو أمية لأتيتهم بخمسين غلاماً من بني هاشم يحلفون بالله ما قتلت عثمان ولا مالأت عليه .

وأصل هذا الكتاب في دار الكتب المصرية وهو جدير بالنشر .

محمد كرد علي